انفروا خفافاً وثقالاً

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:







المقـدمة

الحمد لله الذي وعد عباده المجاهدين بجنة عرضها السموات والأرض، والصلاة والسلام على من قام بهذا الدين خير قيام، وبعد:

فإن الجهاد في سبيل الله – عز وجل – من أعظم الطاعات وأجل القربات، وما دبَّ الوهن والضعف والذلة في أرجاء بلاد المسلمين إلا بتركه و هجره.

ورغبة في إتحاف نفسي وإخواني المسلمين بأجر هذا العمل العظيم وذكر مواقف السلف في تلك المواطن؛ هذا هو الجزء الثالث العشرون من سلسلة: «أين نحن من هؤلاء؟!».

أسأل الله – عز وجل – أن يجعلنا من الشهداء في سبيله وأن يأخذ من دمائنا حتى يرضى، كما أسأله بمنه وكرمه أن يقيم راية الجهاد والعزة والتمكين للمسلمين.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

مدخل

الجهاد حصن الإسلام وسياجه، وقوام الدين وعماده، ومعقل الدولة: الأشب، وركن الأمة الركين، فيه حماية الذمار وصيانة الديار، وخضد شوكة العدو، وفلّ حدهم، وإرهابهم وإذهاب ريحهم، وكبح جماح مطامعهم.

وفيه قوة الإسلام وعزته، ورهبة جانبه، وأمنه وطمأنينته، وشجو حساده، وغيظ عدوه، واتساع رقعة بلاده، وبسطة نفوذه، وقوة سلطانه، ونفاذ كلمته، ما تركه قوم إلا ذلوا وذهبت ريحهم، وسيموا الخسف، وديثوا بالذلة والصغار وطمع فيهم عدوهم، وأمسوا على جناح خوف، وبمدرجة حتف، وباتوا غرباء في أوطانهم، لقمة كل جائع ونهبة كل طامع، يجوعون ليشبع أعداؤهم، ويعرون ليكتسي غاصبوهم، ويشقون ليسعد الطامعون فيهم(1).

ولنشر الدِّين ورفع رايته والدعوة إلى الله – عزَّ وجلَّ – ورد كيد الكفَّار والمتربِّصين قال الله– تعالى–: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 41].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

(1) كتاب الوسيلة للشيخ محمد أبي الوفاء ص (84)

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

قال ابن كثير– رحمه الله –: «يخبر الله– تعالى – أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له؛ **ولهذا قال الحسن البصري وقتادة** : بايعهم والله فأغلى ثمنهم.

وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا ولله – عزَّ وجلَّ – في عنقه بيعةٌ، وفى بها أو مات عليها، ثم تلا هذه الآية. ولهذا يقال: من حمل في سبيل الله بايع الله. أي: قبل هذا العقد ووفى به.

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره: قال **عبد الله بن رواحة** ﷺ لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت! فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم**»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «**الجنة**» قالوا: ربح البيع لا نُقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾الآية.

وقوله: ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ أي: سواء قتلوا أو قتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة. ولهذا جاء في الصحيحين: «**وتكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي، إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنة الذي خرج منه، نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة**».

وقوله: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار، وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد-صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: 122]، ولهذا قال: ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، أي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم»[1].

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 483).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 10-13].

قال ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**» [متفق عليه].

وقال ﷺ حاثًا على الجهاد ، وما أعدَّه الله للمجاهدين: «**لغدوة في سبيل الله، أو روحة، خير من الدنيا وما فيها**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**» [متفق عليه].

قال **ابن تيمية** – رحمه الله–: «والجهاد – باتفاق العلماء– أفضل من الحج والعمرة، ومن صلاة التطوع، وصوم التطوع . . . ونفع الجهاد لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، وهو مشتمل على جميع العبادات الظاهرة والباطنة: محبة الله، والإخلاص له ، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله»(1).

وسُئل أيضًا عن رجل قدم يريد الغزو ولم يحج فنزل على قوم ثبطوه عن الغزو وقالوا: إنك لم تحج تريد الغزو؟ قال **أبو عبد الله** (أي الإمام أحمد): «يغزو ولا عليه، فإن أعانه الله حج، ولا نرى بالغزو قبل الحج بأسًا».

قال أبو العباس: «هذا مع أنَّ الحجَّ واجب على الفور عنده، لكن تأخيره لمصلحة الجهاد كتأخير الزكاة الواجبة على الفور لانتظار قوم أصلح من غيرهم أو لضرر أهل الزكاة...»(2)

قال ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه**» [رواه مسلم].

قال **الحسن**: إن لكل طريق مختصرًا، ومختصر طريق الجنة الجهاد(3).

ولهذا كان السَّلف يتسابقون إلى ساحات الوغى ومواطن الجهاد

(1) مجموع الفتاوى (353/28).
(2) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (216/3).
(3) حلية الأولياء (157/6).

وأطراف الثغور رغبة فيما عند الله– عزَّ وجلَّ – رغم ما يصيبهم.

قال **معاوية بن قرة**: «أدركت ثلاثين رجلًا من أصحاب النبي ﷺ ما منهم إلا من طَعَنَ أو طُعِنَ، أو ضَرَبَ أو ضُرِبَ مع رسول الله ﷺ»[1].

وكان **أبو أيوب الأنصاري** يقول: «قال الحمد لله ﴿ **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** ﴾ لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا»[2].

أين نحن من هؤلاء؟!

عن مروان بن الحكم، أنَّ زيد بن ثابت أخبره أنَّ رسول الله ﷺ أملى عليه «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله ....»، فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يملها عليَّ، قال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ، حتى خفتُ أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله: ﴿ **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** ﴾ [النساء:95].

وكان رضي الله عنه – بعد – يغزو ويقول: ادفعوا إليَّ اللواء؛ فإنِّي أعمى لا أستطيع أن أفرَّ و أقيموني بين الصَّفَّين.

(1) حلية الأولياء (299/2).
(2) السير (405/2).

وعن أنس أن عبد الله بن زائدة – وهو ابن أم مكتوم – كان يقاتل يوم القادسية وعليه درعٌ له، حصينة سابغة[2].

ولا عيب فهيم غير أن سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب[1]

نظر يونس بن عبيد الله إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله قال: «قدماي لم تغبَّرا في سبيل الله– عز وجل»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: «والجهاد، منه ما يكون باليد ومنه ما هو بالقلب والحجة والدعوة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكنه، ويجب على القعدة لعذر أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم»[4].

أخي المسلم:

عن أبي هريرة ﵁ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ﵁ حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا الحيَّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجلٍ رامٍ، فاقتصوا

(1) وفيات الأعيان (11/7).
(2) طبقات ابن سعد (154/1).
(3) حلية الأولياء (304/3)، وصفة الصفوة (101/3).
(4) المستدرك على مجموع الفتاوى (215/3).

آثارهم، حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما حسَّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد و الميثاق، إن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلو ا عاصمًا ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة – يريد القتلى – فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم، فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا – وكان خبيب هو قَتَلَ الحارث بن عامر يوم بدر – فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموس بيده قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركه فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال :

اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا ، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس ﷺ قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال : نعم ، قال : بخ بخ ، قال رسول الله ﷺ : «**ما حملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال : فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل ﷺ.

وعنه ﷺ أنَّ أمَّ الرَّبيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة، أتتِ النَّبيَّ ﷺ فقالتْ: يا رسول الله، ألا تحدِّثني عن حارثة، وكان قُتِل يوم بدر، فإن كان في الجنَّة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال: «**يا أمَّ حارثة، إنَّها جِنانٌ في الجنَّة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى**» [متفق عليه]

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: جِيء بأبي إلى النبي ﷺ قد مُثل به فوُضِعَ بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومٌ فقال النبي ﷺ: «**ما زالتِ الملائكة تُظلُّهُ بأَجنحتها**» [متفق عليه].

أولئك رجال كانت حياتهم جهاد ودعوة في سبيل الله..

كل عيش قد أراه نكدًا غير ركن الرمح في ظل الفرس
وقيام في ليال دجن حارسًا للناس في أقصى الحرس[1]

أخي المسلم :

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** – رحمه الله–: «ومن كان كثير الذنوب، فأعظم دوائه الجهاد»[2].

وقال – **رحمه الله**–: «اعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة، قال الله– تعالى – في كتابه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: 56] يعني: إمَّا النَّصر والظفر، وإمَّا الشَّهادة والجنَّة، فمن عاش من المجاهدين كان كريمًا له ثواب الدُّنيا، وحسن ثواب الآخرة، ومن مات منهم أو قتل

---

(1) ترتيب المدارك (306/1).
(2) مجموع الفتاوى (421/28).

فإلى الجنَّة، قال ﷺ: «**يُعطى الشَّهيد ستَّ خصالٍ : يُغفر له بأوَّل قطرة من دمه، ويرى مقعده من الجنَّة، ويُكسى حلَّة من الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويوقى فتنة القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر**» [رواه أهل السنن].

وقال ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لمائة درجة، ما بين الدرجه إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، أعدَّها الله – سبحانه وتعالى – للمجاهدين في سبيله**»، فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد.

وقال ﷺ: «**مثل المجاهد في سبيل الله مثل الصائم القائم القانت: الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام**».

وقال رجل: أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**لا تستطيعه**»، قال: أخبرني به؟ قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر وتقوم ولا تفتر؟**» قال: لا، قال: «**فذلك الذي يعدل الجهاد في سبيل الله**»، و هذه الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وكذلك اتَّفق العلماء – فيما أعلم – على أنَّه ليس في التَّطوُّعات أفضل من الجهاد، فهو أفضل من الحجِّ، وأفضل من صوم التَّطوُّع،

وأفضل من صلاة التَّطوُّع»[1].

أخي المسلم:

دعنا نسير مع أولئك الرِّجال الأفذاذ فى طريق جهادهم وما يلاقون من الشَّدائد والصعاب لعلنا نستحث الهمم ونقوي العزائم!

قال **عروة بن الزبير**: لما تجهَّز النَّاس، وتهيأوا للخروج إلى مؤتة، قال للمسلمين: صحبكم الله، ودفع عنكم، قال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبد
أو طعنة بيدي حرَّان مُجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جسدي أرشدك الله من غاز وقد رشدا[2]

قال: ثم مضوا حتى نزلوا بأرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلي، في مائة ألف فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم.

وقال نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا.

قال: فشجع عبد الله بن رواحة الناس ثم قال: والله يا قوم إن

(1) مجموع الفتاوى (417/28).
(2) صفة الصفوة (483/1).

الذي تكرهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة ولا قوم ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، قال: فقال الناس: قد –والله – صدق ابن رواحة فمضى الناس.

* أمَّا الموقف الثَّاني فهو لموقف مؤثر وهم يسيرون إلى الموت ويسرعون إلى لقاء العدو رغبة فيما عند الله!

عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجرة، فخرج في سفرته تلك مردفي على حقيبة راحلته، فوالله إنا لنسير ليلة، إذ سمعته يتمثل بأبياته هذه:

إذا أدتيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فأنعمي وخلال ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وآب المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مُستنهى الثواء

وردك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيت، قال: فخفقني بالدرة، وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة بعد قتل صاحبيه، فجعل يستنزل

نفسه ويتردد بها بعض التردد، فقال عند ذلك:

أقسمــــت بـــالله لتنـزلنــه طائعـــــة أو لتكرهنـــــه
إن أجلب الناس وشـدوا الرنـة مـــالي أراك تكـــرهين الجنـــة
قـد طـال مـا قـد كنت مطمئنة هــل أنــت إلا نطفــةٌ في شــنة

وقال أيضًا:

يا نفــس إن لا تقتلــي تمــوتي هـذا حمـام المـوت قـد صـليت
ومــا تمنيــتِ فقــد أعطيــتِ إن تفعلــي فعلهمــا هــديتِ
وإن تأخرت فقد شقيتِ

فلما نزل، أتاه ابن عم له من لحم ، فقال: شد بهذا صلبك، فإن قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهش منه نهشة، ثم سمع الحِطْمَة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا!! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه [1].

* وكان **صلة بن أثيم** في مغزي له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم فقاتِل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، فاجتمعت النساء، عند امرأته معاذة العدوية فقالت: «مرحبًا إن كنتن جئتن لتهنئني فمرحبًا بكن، وإن كن جئتن لغير ذلك فأرجعن»[2].

---

(1) حلية الأولياء (118/1).
(2)حلية الأولياء (239/2).

ولعلَّنا نطلُّ على ما ادَّخره الله– عزَّ وجلَّ– للشُّهداء الصَّادقين لمن بذلوا دماءهم رخيصة في سبيل الله..

عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء**» [رواه البخاري].

قال **ابن كعب القرطبي**: إن عبد الله ذا البجادين كان امرءًا من مزينة فوقع في قلبه حب رسول الله ﷺ وحب الإيمان فتوجه نحو النبي ﷺ، وذهبت أمه إلى قومها فقالت: إن عبد الله قد توجه نحو محمد فاتبعوه فردوه. فقالت: أمه خذوا ثيابه فإنه أشد الناس حياء، فإنكم إن أخذتم ثيابه لم يبرح، فأخذوا ثيابه وجردوه فقعد في البيت فأبى أن يأكل ويشرب؛ حتى يلحق بمحمد ﷺ فلما رأت أمه أنه لا يأكل ولا يشرب أتت قومها فأخبرتهم أنه قد حلف ألا يأكل وألا يشرب حتى يلحق بمحمد ﷺ فأعطوه ثيابه فإني أخاف أن يموت، فأبوا فأخذت بجادها – كساء غليظ – وقطعته قطعتين ثم زررت أحدهما فاتزره ووضع الآخر على رأسه، وقالت: اذهب. فذهب، ترفعه أرض وتخفضه أخرى، حتى قدم المدينة وقرأ القرآن وفقه في الدين، فكان يأوي هو وأصحابه إلى ظل بيت لامرأة من الأنصار تضع لهم طعامهم وتهيء لهم أمرهم، فقال له أصحابه ذات يوم: لو تزوجت فلانة، فبلغ

ذلك المرأة فقالت: ما لكم هجيرًا – عادة – إلا ذكري، لتمسكن عن ذكري أو لا يأويكم ظل بيتي، فبلغ ذلك أبا بكر ﵁ فأتاها فقال: يا فلانة ألم يبلغني أن عبد الله خطبك فتزوجيه؟ فإنه في حسب من قومه، وقد قرأ القرآن وفقه في الدين، وأتاها عمر ﵁ فقال لها مثل ذلك، فبلغ ذلك النبي ﷺ، وكان عبد الله إذا طلعت الشمس قام فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم يمر بالنبي ﷺ فيسلم عليه ثم يذهب إلى رحله، فصلى ذات يوم فمر بالنبي ﷺ قال: «**يا عبد الله ألم يبلغني أن تذكر فلانة؟**» قال: بلى، قال: «**قد زوجتكها**»، فأتى أصحابه فقال: رسول الله ﷺ قد زوجنيها، فجاءت نسوة من الأنصار فذهبن بها وهيئنها وصنعنها، وصنعن لها بردة، وصنعن لها وسادة من أدم، وقدحًا ، وشيئًا من طعام، فزفينها عشاءً فقام يصلي ما عرض لها ولا أرادها حتى أذَّن بلال بالفجر، فلما أذن ذهبت النسوة إلى أزواجهن فقلن: والله ما لعبد الله من حاجة، ما عرض لها ولا أرادها ولا قربها، وصلى عبد الله مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلما طلعت الشمس قام يصلي نحو ما كان يصلي فمر بالنبي ﷺ فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ: «**أما لك في أهلك حاجة؟**».

قال: بلى، ولكن رأيت نعمة من نعم الله – تعالى – رأيت امرأة جميلة وفراشًا وطعامًا فلم أجد شيئًا أتقرب به إلى الله إلا سلاحي، ولم أكن أوثر بسلاحي على الله ورسوله أحدًا إلا أن أصلي، فهذا وجهي

إلى أهلي يا رسول الله، فذهب إلى أهله فأصاب منها، ثم أصابته جراحه يوم خيبر، فأوصى: «أني لم أكن أعطيت امرأتي شيئًا فأعطوها نصيبي من خيبر» ومات.

أين نحن من هؤلاء؟!

قال ابن مسعود ﷺ: أصابنا جوع شديد فخرجت ذات ليلة فرأيت نويرة تَبُصُّ، فقلت: لأدنون منها لعلي أصيب عندها طعامًا، قال: فدنوت فإذا رسول الله ﷺ في القبر يحفر يناول أبا بكر وعمر التراب، وإذا عبد الله مسجى عليه، فلما دفنه قال: «**اللهم إني عنه راضٍ فارض عنه**» مرتين أو ثلاثًا(1).

ولم تكن القصور والدُّور منتهى آمالهم في الدُّنيا، بل كانوا يتخفَّفون في المباني والدُّور!

كان لشفيق بن سلمة خص من نصب (البيت في النصب أو شجر) وكان يكون فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدق به، وإذا رجع أنشأ بنائه(2).

وهذا **سعد بن خيثمة الأنصاري** ﷺ أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ

(1) الحلية (122/1)، والسيرة النبوية لابن هشام (183/4).
(2) صفة الصفوة (28/3).

الناس إلى غزوة بدر قال له أبو خيثمة: إنَّه لابدَّ لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنَّة آثرتك به؛ إنِّي لأرجو الشَّهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقتل ببدرٍ(1).

قال **ابن تيمية** – رحمه الله –: «يجب على جميع المسلمين أن يكونوا يدًا واحدة على الكفار، وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله، ويدعوا المسلمين إلى ما كان عليه سلفهم من الصدق وحسن الأخلاق، فإن هذا من أعظم أصول الإسلام وقواعد الإيمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه.. أمر عباده عمومًا بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف».

إذا أظمأتك كف اللئا ... م كفتك القناعة شبعًا وريا
فكن رجلًا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا
أبيًا لنائل ذي ثروة ... تراه بما في يديه أبيا
فإن أراقه ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء المحيا(2)

كانت **أم إبراهيم الهاشمية** – رحمها الله – عابدة من عابدات البصرة الصالحات، وحدث ذات عام أن أغار الروم على ثغرٍ من ثغور

(1) صفة الصفوة (468/1).
(2) تاريخ بغداد (32/11).

المسلمين، فانتدب الناس للجهاد في سبيل الله، فقام العبد الصالح عبد الواحد بن زيد في الناس واعظًا وخطيبًا ومحرضًا على الجهاد، وكانت أم إبراهيم حاضرة في ذلك المجلس، وطال حديثه وتشويقه للجهاد، ثم شرع في وصف حور الجنان الحسان وجمالهن، وأطنب في ذلك وتوسع، فماج الناس لذلك واضطربوا، و اشتاقت النفوس إلى الجنان، وتطلعت الأفئدة إلى الحور الحسان!!

فوثبت **أم إبراهيم** من وسط الحاضرين وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألست تعرف ولدي إبراهيم، فإن أعيان أهل البصرة يخطبونه لبناتهم! !، وأنا أضن به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الحورية التي ذكرت لنا أوصافها، وأنا أرضاها زوجة لولدي إبراهيم!!، فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مهرها عشرة آلاف دينارٍ، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله، فيكون شفيعًا لي ولأبيه يوم القيامة؟!

فقال لها عبد الواحد بن زيد: لئن فعلت لتفوزن أنت وزوجك وولدك فوزًا عظيمًا!! فنادت ولدها إبراهيم من وسط الناس، فقال لها: لبيك يا أماه! فقالت: أي بني، أرضيت بهذه الجارية زوجة لك، ببذل مهجتك في سبيل الله، وترك العودة إلى الذنوب، فقال الفتى: إي والله يا أمي!!، رضيت وأي رضى، فقالت: «اللهم إني أشهدك أني قد زوجت ولدي هذا من هذه الحورية، ببذل مهجته في سبيلك، وترك

العودة إلى الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين!!».

ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، ثم قالت: يا أبا عبد الله، هذا مهر الحورية، تجهز به، وجهّز به الغزاة في سبيل الله!!

ثم انصرفت، فاشترت لولدها إبراهيم فرسًا جيدًا، وسلاحًا ثقيلًا، وخرج الجيش للقتال وهم يرددون قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها، دفعت إليه كفنًا وحنوطًا و قالت له: أي بني، إذا أردت لقاء العدو، فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصرًا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلت ما بين عينيه وقالت: لا جمع الله بيني و بينك، إلا بين يديه، في عرصات القيامة!!

قال عبد الواحد: فلما واجهنا العدو، برز ابنها إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقًا كثيرًا، ثم تجمعوا عليه فقتلوه!!

فلما انتهت الغزوة، ورجعنا إلى البصرة غانمين، خرج الناس يتلقوننا ويستقبلوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، فلما أبصرتنى قالت: يا أبا عبيد، هل قبلت مني هديتي فأُهَنَّ؟!! أم رُدَّتْ عليَّ فَأُعَزى؟!! فقلت لها: **قد قبلت هديتك!!، وإن ولدك إبراهيم حي مع**

الشهداء إن شاء الله.

فخرت ساجدة لله – تعالى–، ثم قالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني فلما كان من الغد، أتتني إلى المسجد، فقالت: يا أبا عبيد، بشراك !! بشراك!!. فقلت لها: لا زلت مبشرة بالخير!! فقالت: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول لي يا أماه .. أبشري!! فقد قبل المهر!! وزُفَّتِ العروس إلى عريسها !!(1).

وعن **أبي قدامة الشامي** – رحمه الله – قال: كنت أميرًا على جيشٍ من جيوش المسلمين، في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوتُ الناس إلى الغزو، ورغَّبتهم في الجهاد في سبيل الله — تعالى – ، وذكرت لهم فضل الشهادة في سبيل الله، وما لأهلها عند الله – عز وجل– من الثواب العظيم والنعيم المقيم، ثم تفرق الناس، فركبت فرسي، و سرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأةٍ، تقف لي على جانب الطريق، و تناديني وتقول: يا أبا قدامة!! يا أبا قدامة!! فقلت في نفسي: هذه مكيدة من الشيطان، ليفتنني بها!! فمضيتُ ولم ألتفت إليها، فقالت: ما هكذا كان الصالحون !! فوقفتُ لها حينئذ، فجاءت ودفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكيةٌ، فنظرت إلى الرقعة

(1) كتاب [مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق] لابن النحاس (215/1) بتصرف.

فإذا مكتوبٌ فيها:

إنك دعوتنا إلى الجهاد، ورغَّبتنا في الثواب، وأنا امرأءة لا قدرة لي على الخروج بنفسي، فقطعت أجمل ما في جسدي، وهما ضفيرتاي، وأعطيتهما إياك لتجعلهما قيدًا لفرسٍ غازٍ في سبيل الله – تعالى –!! لعل الله– عزوجل – أن يري شعري قيدًا لفرسٍ في سبيله، فيغفرلي.

فلما كانت صبيحة القتال، إذا بغلامٍ بين يدي الصفوف، يقاتل بقوة وشجاعة وبسالة!! فتقدمت إليه وقلت له: يا فتى، أنت غلامٌ صغير السن، راجل ولا فرس معك، ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا!!.

فقال لي الغلام: أتأمرني بالرجوع وقد قال الله – تعالى –:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ*** ﴾ [الأنفال: 15، 16] فأعجبتني شجاعته وبسالته، فحملته على هجين كان معي!!.

فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم!! فقلت له: أهذا وقت قرض!! فما زال يلحُّ علي حتى قبلت وقلت له: بشرط إن منَّ الله عليك بالشهادة فى سبيله، أكون في شفاعتك يوم القيامة!! فقال: نعم!! فأعطيته ثلاثة أسهمٍ، فوضع سهمًا فى قوسه وقال: السلام

عليك يا أبا قدامة!! ثم رمى به فقتل روميًا!! ثم رمى بالآخر وقال : السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودع!! فجاءه سهمٌ فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه!! فتقدمت إليه، وقلت له: لا تنسها!! فقال لي ودماؤه تنزف: نعم!! ولكن لي إليك حاجةٌ!! إذا دخلت المدينة، فأتِ والدتي وسلِّم خُرجي إليها وأخبرها بقصتي!!.

فقال له أبو قدامة: ولكن أخبرني من هي أمك؟!! وكيف أعرفها من بين نساء المدينة؟!!.

فقال له الغلام: إن أمي هي التي أعطتك شعرها، لتجعله قيدًا لفرسٍ في سبيل الله، فسلم لي عليها، فإنها في العام الأول، أصيبت بمقتل والدي في الجهاد، وفي هذا العام أصيبت بي!! ثم مات– رحمه الله – فحفرت له ودفنته بعد انتهاء المعركة، فلما هممنا بالانصراف عن قبره، قذفته الأرض، فألقته على ظهرها، فقال أصحابي: إنه غلام صغير السن، ولعله خرج بغير إذن أمه، فرفضته الأرض ولم تقبله، فقلت لهم: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا!!

فبينا نحن كذلك، لا ندري ماذا نفعل به، إذ نزلت عليه طيورٌ بيضٌ فأكلته!! ونحن ننظر إليها، لم يستطع أحدٌ منا الاقتراب منها!!

فلما أتيت المدينة، ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعت الباب، خرجت أخته إليَّ، فلما رأتني عادت، وقالت: يا أماه، هذا أبو قدامة، ليس معه أخي، فقد أُصبنا في العام الأوَّل بأبي، وفي هذا العام بأخي،

فخرجت أمُّه إليَّ فقالت: أمُعزِّيًا أم مُهنئًا؟!!.

فقلت: مامعنى هذا؟!! فقالت: إن كان مات فعزني! وإن كان استشهد فهنئني!! فقلتُ: لا، بل مات شهيدًا! ! فقالت: له علامةٌ فهل رأيتها!!.

قلت: نعم!! لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه، وتركت عظامه، فدفنتها فقالت الأم: .الحمد لله !! ثم قالت: إنه كان إذا جنَّ الليل، وقام في محرابه يصلي، ناجى مولاه – تعالى — وبكى وتضرع، وقال في مناجاته : «اللهم احشرني في حواصل الطيور!!»(1).

أخي الحبيب أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس ﷺ قال : جاء رجل إلى عمر ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين احملني فإني أريد الجهاد , فقال : عمر لرجل خذ بيده، فأدخله بيت المال، يأخذ ما يشاء، فدخل فإذا هو بيضاء وصفراء فقال: ما هذا ما لي في هذا حاجة إنما أردت زادًا وراحلةً فردوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمرله بزاد وراحلة وجعل عمر يرحل بيده فلما ركب رفع يده فحمد الله و أثنى عليه بما و هبه وأعطاه، قال: وعمر يمشي خلفه يتسنى أن يدعو له فلما فرغ قال: اللهم عمر فاجزه خيرًا، وأومأ بيده إلى رحله(2).

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (200/4) بتصرف.

(2) كتاب الزهد لابن السري (314/1).

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت بطون الثرى وأستودع البلد الفقر

بدور إذا الدنيا دجت أشرقت بهم وإن أجدبت يومًا فأيدينهم القطر

فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر(1)

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة، واصطف الناس كان أول من جرح أبو عقيل، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن له شقه الأيسر في أول النهار، وجر إلى الرحل، فلما حمى القتال، وانهزم المسلمون، وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح: «يا للأنصار» الله الله والكرة على عدوكم! قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال!

قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، و أنا أجيبه ولو حبوًا، قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: ياللأنصار! كرة كيوم حنين! فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من

---

(1) وفيات الأعيان (240/7).

المنكب فوقعت في الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل! قال : لبيك- بلسان ملتاث -لمن الدبرة؟ يعني: الهزيمة. قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله(1).

أخي المسلم:

قال **ابن عبد ربه:** «رجال الأنصار أشجع النَّاس، قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: «ما استُلَّتِ السُّيوف، ولا زحفت الزحوف، ولا أقيمت الصفوف، حتى أسلم ابنا قيلة، يعني الأوس والخزرج، وهما الأنصار من بني عمرو بن عامر، من الأزد».

عن **قتادة** قال: «ما نعلم حيًا من أحياء العرب أكثر شهيدًا، أغرَّ يوم القيامة من الأنصار، قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك أنَّه قُتل منهم يوم أحدٍ سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون. قال وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسليمة الكذاب».

وعن أنس أنَّه كان يقول: يا ربِّ، سبعين من الأنصار يوم أحد، وسبعين يوم بئر معونة. وسبعين يوم مسيلمة الكذَّاب، وسبعين يوم

(1) مشارق الأشواق إلى مصارع العشاق (509/1).

جسر أبي عبيدة(1).

عن **ابن سيرين:** أنَّ المسلمين انتهوا إلى حائط فيه رجال من المشركين، فقعد البراء على ترس، وقال: ارفعوني برماحكم، فألقوه وراء الحائط، قال: فأدركوه وقد قتل منهم عشرة وجرح البراء يومئذ بضعةً وثمانين جراحة، ما بين رمية وضربة، فأقام عليه خالد بن الوليد شهرًا حتى برأ من جراحته(2).

أين نحن من هؤلاء؟!

قال أبو رافع: وجه عمر جيشًا إلى الروم، فأسروا **عبد الله بن حذافة** ﷺ فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذًا أقتلك، قال : أنت وذاك، فأمر به، فصلب، وقال للرماة: أرموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه، ويأبى، فأنزله، ودعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقى

(1) العقد الفريد (118/1).
(2) أسد الغابة (206/1).

الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله. فقال له الطاغية: هل لك أن تُقبل رأسي، وأخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبَّل رأسه، وقدم الأسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ، فقبل رأسه[1].

أين نحن من هؤلاء؟!

قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك ألا لبست درعي، فلبسها ثم نزعها: فقال له عمر: مالك؟ فقال: إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك.

وقال **أبو إسحاق السبيعي**: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالًا شديدًا، ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ[2].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ فقال ابن مكتوم: أي رب أنزل عذري، فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: 95]، فجعل بينها، وكان بعد ذلك يغزو ويقول: ادفعوا إليَّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيموني

(1) أسد الغابة (212/3).
(2) السير (324/1).

بين الصفين، قال أنس بن مالك: كان من ابن مكتوم يوم القادسية راية ولواء.

قال **خالد بن الوليد:** «ماليلة أبشر فيها بغلام أو تهدي إلي فيها عروس أحب إليَّ من ليلة مرة باردة في سبيل الله»[1].

وعن **ابن عمر** قال: جمعت جعفرًا على صدري يوم مؤتة، فوجدت في مقدم جسده بضعًا وأربعين من بين ضربةٍ وطعنةٍ[2].

كيف وهو الذي سمع حديث النبي ﷺ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله– تعالى– أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**» [متفق عليه].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيام شهرٍ وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**». [رواه مسلم].

قال الإمام النَّووي في هذا الحديث: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد.

(1) الثبات عند الممات ص (107).
(2) السير (210/1).

وقد جاء صريحًا في غير مسلم: «**كل ميت يختم عمله إلا المرابط فإنَّه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة**»[1].

أخي المسلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس، حتَّى قال: أبو هريرة ﷺ : لأن أرابط في سبيل الله أحبَّ إليَّ من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود»[2].

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت والله؟ قال الراوي: وذهب بعامر علوا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول الله ﷺ: «**أن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين**»، وسأل جبار بن سلمى ما قوله: فزت الله، قالوا: الجنة، قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة. فحسن إسلامه، قالت عائشة، رفع عامر بن فهير إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارته[3].

وقال **جابر**: لما قتلى أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «**تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة**

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (61/13).
(2) مجموع الفتاوي (418/28).
(3) رواه أحمد (298/3)، والبخاري (1244).

تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه»[1].

وعن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحًا**»، «**فقال: عبدي، سلني أعطك**»، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانية، فقال أنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[2] [آل عمران: 169].

قال أبو الطيب:

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم … بين طعن القنا وخفق البنود

أخي الحبيب:

قال **ابن عون**: بينا نحن يومًا في بلاد الروم إذا أنا بوجوه قد تغيرت، فقلت لرجل إلى جنبي: ما هذا قال الذي أرى في وجوه الناس؟ قال: أما ترى العدو؟ فنظرت فإذا الجبل مسود من الأعلاج، قال ابن عون: نعلم أن الموت كريه، وإلى جنبي رجل لا أرى في وجهه ما أرى في وجوه القوم، في يده تفاحتان يقلبهما إذ خرج رجل من العدو فدعا البراز، فبرز له رجل من المسلمين فحمل عليه فطعنه،

(1) رواه الترمذي في المناقب (46) حديث رقم (3010)، وابن حبان (7022).
(2) مكارم الأخلاق ص (38).

ودعا إلى تفاحتيه، فأخذها فجعل يقلبها، فقلت لرجل إلى جنبي من هذا؟ قال البطَّال.

وصبر عن معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري[1]

وأنوع الجهاد كثيرة ولله الحمد - خاصة في هذا الزمن - منها الجهاد بالكلمة والقلم وفضح المنافقين والرد عليهم..

قال **أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي**: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عما خالفك، فأقول لا أسكت[2].

أخي المسلم:

أولئك أباؤك وأجدادك قال عنهم علي الجارم :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لسمت جباهنا تربها إلا مصلينا

لا ينزل النصر إلا فوق رايتنا ولا تمسى الظبا إلا نواصينا

* سأل عمر **خباب بن الأرت** - رضي الله عنهما - عما لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، لقد

(1) شذرات الذهب (8/2).
(2) تذكرة الحفاظ (1184/3).

أوقدت لي نار وسحبت عليها فما اطفأها إلا ودك ظهري.

وفي زمن العزة والجهاد نرى قولًا عجيبًا.. قال الزبير ﷺ : «نحن أمة لانموت إلاقتلى، فما لي أرى الفرش كثر عليها الأموات».

فكيف لو رأى الحال اليوم!

وقد ذكر **بعض العلماء**: إنَّ أكثر من ثمانين بالمائة من الصحابة –رضوان الله عليهم– قضوا نحبهم في ميادين الجهاد والطعن والنزال، ولهذا ارتفعت الراية وعز أهل الإسلام وانتشرت الدعوة في أصقاع الأرض.

وعن علي بن زيد: «أخبرني من رأى الزبير، وفي صدره أمثال العيون من الطَّعن والرَّمي»

وعن عروة قال: «كان في **الزبير** ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك».

أنشد خبيب بن عدي أنشدوة الموت وهي قصيدة الفداء:

ولسـت أبالي حـين أقتـل مسـلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

ولســت عبــد للعــدو وتخشــعاً ولا جزعًــا إني إلى الله مرجعــي

وذاك في ذات الإلـــه وإن يشـــأ يبـارك علـى أشـلاء شـلو ممنـوع

أخي المسلم:

قال سماحة الشيخ **محمد بن إبراهيم** - رحمه الله - في مراتب الجهاد: «ثم بالنسبة إلى قتال الكفار لذلك ثلاث مراتب:

صدر الإسلام فيه الكف والصفح عن المشركين..

ثم انتقل إلى حال آخر، وهو الإذن في قتال من قاتل، لقوله: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** ﴾ [الحج: 93].

ثم بعد ذلك الأذان والأمر بقتال المشركين، كما قال: ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ [التوبة:5].

وهي آية السيف، وهذا الحديث[1] مثل الآية، فإنه كما شرع أن يقاتلوا دفعًا عن النفس، فإنه في الآخر أذن في القتال وأمر حتى يدخلوا في الإسلام».

ثم - قال رحمه الله -: «ثم المعروف أن المشركين يقاتلون لأجل شركهم، لا لأجل عدوانهم من أدلته حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**»[2].

ولم يقل: نقاتل من قاتلنا، ولا من نخشى شره.

(1) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا...»

(2) متفق عليه، وأخرجه أصحاب السنن.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: 29] دل على أن قتالهم بالوصف: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هذا هو العلة .

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة:5] يفيد أنهم يقاتلون لأجل شركهم؛ فإن الاسم إذا كان بصيغة الوصف دل على اعتبار الوصف كقولك: أعط الفقير درهمًا.

«**قاتلوا من كفر بالله**»(1) هذا من البرهان على أن الكفرة يقاتلون لأجل كفرهم. والرسول أفهم الخلق، فلو كانوا لا يقاتلون إلا لأجل دفع شرهم لقال: إن قاتلوكم.

والله سبحانه لم يأمره أولًا بالجهاد، ثم أمر بذلك بعد.

«**أغزوا في سبيل الله**»(2)، و«**جاهدوا المشركين بقلوبكم، وأيديكم، وألسنتكم**»(3)، في هذا الجهاد بأمرين، أو بثلاثة أمور عندما يكون بإمكانه؛ فإن الحديث يدل على أنهم يجاهدون بها كلها

---

(1) وهو حديث سلمان بن بريدة عن أبيه، وقد أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه و الترمذي وصححه.

(2) وهو حديث بريدة السابق.

(3) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

إذا أمكن، وتقدم أن ذلك فرض كفاية.

الحجة والبيان هذه، حصة أهل العلم: كشف الشبهات، والذب بالقلم واللسان عن الدين، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ لحسان: «**اهجُهم**...»[(1)] فالهجاء عندما يحتاج إليه، وبيان الحق عندما يوجد شبهة: كله جهاد.

ولا تجد في كتب: أهل الدعوة[(2)] ما يدل على أنهم يقاتلون لدفع شرهم، بل لو سألت صاحب فطرة لأنبأك أنهم يقاتلون لكفرهم.

وهذه مسألة فروعية وبعض الإخوان يقول: وإن كانت فروعية فالقول بأنهم يقاتلون لأجل صيالهم كأنه يبطل مصارمتهم».

وقال – **رحمه الله** –: «ونعرف شيئًا واحدًا، وهو: أن العلماء متفقون، على وجوب قتالهم، لكن الذي أوجب الله: هل هو لأجل هذا، أو لا.

وكثير لا يدريه.

الجمع بين القولين: في التعليل بدفع شرهم، ولأجل كفرهم.

مع أن هذه المسألة: لا متعلق لأحد فيها: هم في كل زمان دائبون في ذلك، فكيف مثل هذه الأزمان، يتركون إلى متى؟ وفي الحقيقة هم

(1) وجبريل معك «**اللهم أيده بروح القدس**».

(2) يريد: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وتلاميذهم.

لا يزال شرهم، هم إذا جاءت مسألة الدين فهم جميعًا على سلبها من المسلمين، ويريدون أن يمنعوا الدين عن المسلمين، ويبقوا هكذا: يستعمرونهم في مصالحهم. وقتالهم للمسلمين في الوقت الحاضر، بالراديوهات، وبالمجلات، وبالمدارس، وغير ذلك.

وفي الحقيقة أنه من أعين المتعين قتالهم في الوقت الحاضر لو تيسر»(1).

أخي القارئ:

بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ﷺ إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة: فسأله: فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها فقال: عدوا له ألفًا فأعطى الرجل ألف درهم، ثم حول المال ساعة ثم قال: عدوا له ألفًا فاستحى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، فسأل عنه، فقيل له: إنا رأينا أنه استحى من كثرة ما أعطي فخرج، فقال عمر : «أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه»(2).

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدَّرجتين كما بين السَّماء والأرض**» [رواه البخاري].

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (198/6).
(2) حلية الأولياء (355/3).

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصَّلاة، وصام رمضان، كان حقًا على الله أن يدخله الجنَّة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**».

فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشِّر الناس؟!

قال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوا الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة وأعلى الجنَّة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنَّة**» [رواه البخاري].

«**أو جلس في بيته**» فيه تأنيس لمن حرم الجهاد وأنه ليس محرومًا من الأجر، بل له من الإيمان والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنَّة وإن قصر عن درجة المجاهدين.

واستنتج ابن حجر من ظاهر الحديث أن المراد: لا تبشر النَّاس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد. . .

و«**الأوسط**» الأعدل.

وفي الحديث إشارة إلى أنَّ درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إمَّا

بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين...[1].

دبت للمجد والسَّاعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتَّى ملَّ أكثرهم وعانق من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبرا[2]

عن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر بن أبي طالب ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنه برمح وضربه بسيف.

فتى الحرب عضت به الحرب عضها إن شمَّرت عن ساقيها الحرب شمَّرا

أخي المسلم:

نصر الله قريب إذا تحققت شروطه: ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** ﴾ [محمد: 47]، ولهذا كان السلف - رحمهم الله - يتوبون إلى الله - عز وجل - خاصَّة عند ملاقاة العدو واقتراب الواقعة!

كان **الفضيل بن عياض** يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد «عليكم بالتوبة فإنها ترد عنكم ما لاترده السيوف».

وكان **أبو الدرداء** ﷺ يقول : «اعمل عملًا صالحًا قبل الغزو فإنما

---

(1) فتح الباري (12/6).
(2) الأمالي لأبي علي القالي (113/1).

تُقاتلون الناس بأعمالكم».

وقال **مسلمة بن عبد الملك** أمير السرايا: «برجاء بن حيوة وبأمثاله نُنصر»[1].

وقال **الأصمعي**: لما صاف قتيبة بن سلم الترك، وهاله أمرهم، سأل عن **محمد بن واسع** فقيل: هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه، يشير بأصبعه نحو السماء، قال: تلك الأصبع أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير[2].

وكانوا – رحمهم الله – يسارعون إلى الجهاد وإعلاء كلمة الله ورفع راية الدِّين وإذلال الكفَّار والمشركين.

أفنوا أعمارهم في الجهاد ومزقوا أجسادهم في القتال، بعضهم أقام عمره في الجهاد وبعضهم ما عاد من غزو إلا أنشأ غزوة أخرى، وبعضهم تعد له الغزوات كما يعد لغيره الحج.

غزا **أبو عامر** حاجب الممالك الأندلسية في مدته نيفًا وخمسين غزوة ولقد جمع من غبار غزواته ما عملت منه لبنه، والحدت خده[3].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: .قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجلٌ**

---

(1) السير (4/-).
(2) السير (121/6).
(3) السير (17/6).

بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبدٍ غبارٌ في سبيل الله و دخان جهنم» [رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح].

عن أبي عبسٍ عبد الرحمن بن جبر، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اغبرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسَّه النَّار**» [رواه، البخاري].

قال الحافظ ابن حجر: فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النَّار، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه[1].

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «فهذا في الغبار الذي يصيب الوجه والرجل: فكيف بما هوأشق منه كالثلج، والبرد، والوحل»[2]!

وذُكر أنَّ صلاح الدِّين الأيوبي لم يؤد حجة الإسلام وشغله جهاد الصليبيين عن الحجِّ، ولم يؤاخذه أو يعتب عليه؛ لأنَّ جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج كما يقول ابن تيمية فالأعمال درجات.

وكان هارون الرشيد يحج عامًا ويغزو عامًا ولهذا قال الشاعر في حقه:

---

(1) فتح الباري (30/6).

(2) مجموع الفتاوى (418/28).

فمـــن يطلـــب لقـــاءك أو يـــرده فبـــالحرمين أو أقصـــى الثغـــور(1)

أخي المسلم:

انظر إلى ما يتكبده المجاهدون وما يلاقيه الرجال من شدة الأهوال وقرع النبال يصورها بشر بن ربيعة في معركة القادسية:

تـــذكر هـــداك الله وقـــع ســـيوفنا ببـــاب قـــديس والمكـــر ضـــرير
عشـــــية وذ القـــــوم لـــــو أن يعـــار جنـــاحي طـــائر فيطـــير
إذا بـــرزت مـــنهم إلينـــا كتيبـــة أتـــونا بأخـــرى كالجبـــال تمـــور
فضـــاربتهم حـــتى تفـــرق جمعهـــم وطاعنـــت إني بالطعـــان مهـــير(2)

قال **عبد الله بن عبد الله بن عمر**: غزا المسلمون كابل وعليهم عبد الرحمن بن سمرة، فانتهوا إلى ثلمة لا يقوم عليها إلا رجل واحد فقال: انظروا من يقوم عليها، فقالوا: عمر بن عبد الله بن عبيد الله بن معمر، فدعوه، فقالوا: قم عليها، فقام عليها ثم إنه أصابته رمية فسقط، فحمل إلى أهله فقالوا: من يقوم عليها فقالوا: عباد بن الحصين فدعوه فقام عليها فما رأينا شله قط، ما زالوا يقابلونه ويرمونه ويقاتلهم ويكبر حتى إذا كان في بعض الليل خمد صوته فلم نسيه، قلنا: إن لله قتل عباد، فلما أصبحنا وجدنا، قد شد عليهم، واقتحم

---

(1) شذرات الذهب (334/1).
(2) السير (365/1).

الثلمة فولوا و كانت الهزيمة، واذا قد صحل حلقة من الصياح وانقطع صوته[1].

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن (بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرَّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتَّى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: «إن بها الطاعون» فقال: «إنما جئنا للطعن و الطاعون»[2].

يا راكبين عناق الخيل ضامرةً كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان[3]

عن **ابن عمر** قال: جمعت جعفرًا بن أبي طالب على صدري يوم مؤتة، فوجدت في مقدم جسده بضعًا وأربعين من بين ضربة وطعنة[4].

أولئك – رضي الله عنهم – من رضوا بالسياحة في سبيل الله، السياحة الإيمانية التي ارتضاها الله – جل وعلا – لعباده وأمرهم بها.

---

(1) مكارم الأخلاق ص (42).
(2) طبقات ابن سعد (107/3).
(3) موارد الظمآن (710/2).
(4) السير (210/1).

عن أبي أمامة ﵁ أن رجلًا قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، فقال النبي ﷺ: «**إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل**» [رواه أبو داود بإسناد جيد].

ولله در الشاعر وهو يقول:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالًا في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس أفريقيا ولا صحرائها سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة خضراء تنبت حولنا الأزهارا
أرواحنا يارب فوق أكفنا نرجو ثوابك، مغنمًا وجوارا

قال **جبير بن نفير**: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله –عز وجل– إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمه قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى(1).

قال **عبد الله بن عبد الخالق**: سبى الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو

(1) الجواب الكافي ص (81).

اتخذت مجلسًا بالقرب من أمير المؤمنين فحرضت الناس على الغزو، ففعل فبينما هو يذكرهم ويحرضهم فإذا نحن بحرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، ففك الكتاب فقرأه فإذا فيه: إني إمرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهما ذوأبتاي فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقة المختومة وأناشدك بالله العظيم لما جعلتها قيد فرس غاز في سبيل الله فلعل الله العظيم أن ينظر إلي على تلك الحال نظرة فيرحمني بها. قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادي بالنفير، فغزا بنفسه، فأنكى فيهم وفتح الله عليهم. قال الذهبي هذه امرأة حسنة قصدها وغلطت في فعلها لأنها جهلت أن ما فعلت منهي عنه فلينظر إلى قصدها.

أخي المسلم:

للجهاد أبواب كثيرة وللمشاركة في الجهاد طرق متعددة.. بالنَّفس والمال والجهد والرَّأي والكتابة والتَّحريض..

قال ﷺ: «**إن الله يدخل بالسهم ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها**» أو قال: «**كفرها**» [رراه أبو داود].

وقد أثنى الله – عز وجل – على المنفقين في سبيله – تعالى – فقال عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:95،96].

وعن زيد بن خالد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من جهز غازيًا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**» [متفق عليه].

قال **الإمام النووي** – رحمه الله –: «يعني أنَّ الذي جهَّز غازيًا حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكلِّ جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكلِّ خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم، وإنفاق عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثَّواب بقلَّة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحثُّ على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهمَّاتهم»(1).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من احتبس فرسًا**

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (40/13).

في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شبعه، وروثه، وبوله في ميزانه يوم القيامة» [رواه البخاري].

وعن أبي مسعود ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**» [رواه مسلم].

وعن أبي يحيى خريم بن فاتك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف**» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن].

ولما ضعفت الأنفس عن الجهاد بالنَّفس والمال أجلب الكفار علينا بخيلهم و رجلهم حتى جاسوا خلال الديار فأهلكوا الحرث والنَّسل، وأصبح المسلم لا يرفع رأسه في بلده بل ضربت عليهم الجزية و أخذت خيراتهم واستو لى العدو على كنوزهم وأموالهم!

رب وامعتصـــــماه انطلقـــــت مـــلء أفـــواه الصـــبايا اليـــتم
لا مســـــت أسمـــاعهم لكنهــــا لم تلامــــس نخــــوة المعتصــــم
مررت على القدس الشريف مسلمًا علـى مـا تبقـى مـن ربـوع وأنجـم
فغاضـت دمـوع العـين مـني صـبابه على ما مضى من عصره المتقدم
فلـو كـان يفـدى بالنفـوس فديتـه بنفس وهذا الظن في كل مسلم[1]

(1) شذرات الذهب (5/ .).

أخي المسلم:

لا يغيب المنظر عن الأنظار فكل يوم كارثة حتى باتت من تباشير الصَّباح كل يوم. . ألا ترى المرأة المسكينة والطفل الباكي كل يوم!

في خيمة عصفت ريح الزمان بها لحت بعض بني قومي وقد سلموا
فأسلموا لنيوب الليث ضاريه البرد والجوع والإذلال والألم[1]

أخي المسلم:

ساءلتني في حمانا ظبية أتحب الشوق في عين صبية
قلت لا أعشق طرفًا ناعسًا وخدودًا وشفاها قرمزية
إنما أعشق صدرًا عامرًا يحمل الموت ويزهو بالمنية
أدركت سري وقالت ظبيتي أنت لا تعشق غير البندقية[2]

وقد طال المقام وصدق الشاعر في قوله:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لأسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب[3]

* * *

(1) شعراء الدعوة الإسلامية العصر الحديث (11/4).
(2) شعراء الدعوة الإسلامية (13/4).
(3) وفيات الأعيان (2/ .).

وعيد من ترك الجهاد

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24]، فهذه ثمانية شهوات تعلق صاحب الدنيا بدنياه وتحببه إلى البقاء فيها فإن طغى حب الله عليها هانت عند صاحبها وقدم روحه رخيصه فى سبيله فكان الله – سبحانه – المشتري والشهيد هو البائع والثمن سلعة الله الجنة.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة: 38، 39].

وقوله: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي : إلى نعيمها والإقامة فيها.

قال القرطبي: هذا توضيح على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقال ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق**» [رواه مسلم].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «وأقوام ينكلون عن الأمر والنَّهي والقتال الذي يكون به الدِّين كلُّه لله، وتكون كلمة الله هي العلياء ، لئلا يفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة. . . وهذه حال كثير من المتديِّنين، يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدِّين كله لله؛ لئلا يفتنوا بجنس الشَّهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم ممَّا زعموا أنَّهم فرُّوا منه» انتهى ملخصًا[1].

****

(1) مجموع الفتاوي (167/28).

ثمرات الشهادة في سبيل الله

الشهادة رتبة عظيمة ومنزلة عالية اختصها الله – سبحانه – لبعض عبادة ليرفع درجتهم فى الجنة ويحشرهم فى زمرة الأنبياء والصديقين كما قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69] فخاصة عباد الله أربعة أصناف، والشهداء من ضمن هذه الخاصية.

وقد اختلفت الأقوال في سبب تسمية الشهيد شهيدًا:

فقيل: لأنه مشهود له بالجنة.

وقيل: الشهيد بمعنى الشاهد، أي: الحاضر فى الجنة.

وقيل: سِمّي بذلك لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.

وأيًا كان من هذه الأقوال صحيحًا فإن للنفس المؤمنة تمني الشهادة والبحث عن مظانها وقد منَّ الله–سبحانه وتعالى – على الشهداء بفضائل لاتحصى، ومآثر لا تستقصى كيف لا وهم يقدمون أرواحهم بأكفهم وهي أغلى ما يملكون طمعًا فيما عنده سبحانه، وسأذكر باختصار مع الاقتصار على ما يثبت من الأدلة بعض ثمرات الجهاد في سبيل الله وكفى بثمرة واحدة:

1- الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، أرواحهم في حواصل طير خضر: قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران: 169، 170]، عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الأية: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...** ﴾.

فقال رضي الله عنه : سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعه فقال هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا: أيُّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس قال: .قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة**

وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب» فأنزل الله هذه الآية: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا...**﴾[1].

قال القرطبي – رحمه الله تعالى –: الذي عليه المعظم من العلماء:إن حياة الشهداء محققة وأنهم أحياء في الجنة يرزقون كما أخبر– تعالى–، و لا محالة إنهم ماتوا و إن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم.

2– **من ثمرات الشهادة:** أنه ليس أحدًا يدخل الجنة ويحب أن يخرج منها ولو أعطي ما في الدنيا جميعًا إلا الشهيد، فإنه يتمنَّى أن يرده الله إلى الدنيا ليقاتل في سبيل الله كما قتل أولًا لما يرى من عظيم كرامة الشهداء وفضلهم عند الله – تعالى – قال ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**» [متفق عليه].

---

(1) رواه أحمد وابن المبارك واللفظ له.

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله وأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**» [متفق عليه].

فانظر أخي أشرف من مشى على التراب المغفور له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر سيد ولد آدم يقسم بالله أنه يرغب في الشهادة فما بال أناس غرقوا في الذنوب والملذات قد نكصوا عنها ولم يلقوا إليها بالًا نعوذ بالله من الخذلان.

3- الشهادة تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله: قال ﷺ: «**يغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين**»، وفي رواية: «**القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَّين**» [رواه مسلم].

قال القرطبي في تفسيره: «الدَّين الذي يحبسه صاحبه عن الجنة - والله أعلم - هو الذي قد ترك له وفاء، ولم يوص به؛ أو قدر على الأداء فلم يؤده ومات ولم يوفه، وأما من أدين في حق واجب كفاقة وعسر وليس في سفه وإسراف ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنة - إن شاء الله شهيدًا - كان أو غيره» انتهى كلامه.

4- الشهادة في سبيل الله متاجرة رابحة مع الله: ثمنها الجنة و هذا وعد من الله - سبحانه وتعالى - ومن أصدق من الله قيلاً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: 111].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 4-6].

5- الشهيد لا يجد من ألم القتل في سبيل الله إلا كما يجد أحدنا من ألم القرصة: قال ﷺ: «**ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**[1] »[2].

يقول مؤلف كتاب [تفريج الكرب] : «وكنت أعجب قبل- عندما - أقرأ عن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم جميعًا - وقد وجد في جسده أكثر من ثمانين طعنة رمح أو ضربة بسيف و كنت أقول: كيف يتحمل هذا الألم الشديد وأحدنا لا يتحمل و خزة الإبرة الصغيرة؟ وبعد قرائتي لهذا الحديث زال هذا العجب فسبحان من جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم» انتهى كلامه.

6- الشهيد لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة: قال ﷺ: «**القتلى ثلاثة رجال**» ذكر أولهم، فقال ﷺ: «**رجل مؤمن جاهد نفسه وماله في سبيل الله حتى إذا ألقى العدو قاتله حتى يقتل، ذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون**

(1) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) والقرصة: هي شد الجلد والضغط عليه بين إصبعين.

إلا بدرجة النبوة»[1].

7- أكرم الله الشهداء بأن لا تأكل الأرض أجسادهم: فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما أراد معاوية أن يجري الكظامة «شبيهة بالقناة» قال: من كان له قتيل فليأت قتيله - يعني قتلا أحد - قال فأخرجناهم رطابًا يتثنون قال: فأصابت المسحاة أصبع رجل منه فانفطرت دمًا»[2].

وأيضًا قصة جابر مع أبيه الذي استشهد في أحد فدخل السيل على قبره في عهد معاوية بعد ستة وأربعون سنة من موته قال جابر: فكأنه نائم وما تغير من حاله شيء لا قليل ولا كثير[3].

8- ولعظم منزلة الشهيد فإن الله كلف الملائكة بإظلاله حتى يُرفع: لحديث جابر بن عبد الله أنه قال جيء بأبي يوم أحد قد مثل به حتى وضع بين يدي رسول الله ﷺ وقد سجى ثوبًا فذهبت أريد أن أكشف عنه فنهاني قومي ثم ذهبت أكشف عنه فنهاني قومي فأمر رسول الله ﷺ فرفع فسمع صوت صائحة، فقال: «**من هذه**»، فقالوا: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، قال: «**فلم تبكي؟**»، أو قال: «**لا تبكي فما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفع**» [متفق عليه].

---

(1) رواه أحمد، والبيهقي.

(2) رواه ابن المبارك وعبد الرازق.

(3) ذكره الواقدي في المغازي.

9- ومن ثمرات الشهادة أن الله يكرم الشهيد بأطيب الريح وهي رائحة المسك: قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بما يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك**» [متفق عليه].

وقد تُشَمُّ هذه الرائحة الطيبة من الشهيد حال موته في الدنيا ولذلك شواهد لا يتسع المقام لذكرها، وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا أسود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل أسود منتن الريح قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا؟ قال ﷺ: «**في الجنة**» فقاتل حتَّى قتل فأتاه ﷺ عليه فقال: «**قد بيَّض الله وجهك، وطيَّب ريحك، وأكثر مالك**»، وقال لهذا ولغيره: «**لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته**»(1).

10- من مات شهيدًا أجري عليه عمله ورزقه حتى يبعث: لقوله ﷺ: «**رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «**كل ميت يختم على عمله الذي مات عليه إلا**

(1) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

المرابط في سبيل الله – عز وجل – فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر»(1).

فالمرابط ليلة كصائم قائم لمدة شهر وإذا مات مرابطًا فإن له من الأجر كمن بقي مرابطًا إلى يوم القيامة وقال ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**» [متفق عليه].

11– شهادة النبي ﷺ لحسن وجمال دار الشهداء في الجنة: قال ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها قال لي: أما هذه فدار الشهداء**» [رواه، البخاري].

12– يغفر الله للشهيد في أول دفعة من دمه: كما قال ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال وذكر منها يغفر له في أول دفعة من دمه أو يرى مقعدة من الجنة**»(2).

13– ويجار الشهيد من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر: لقوله ﷺ: «**ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر**».

14– يكرمه الله – سبحانه وتعالى – على رؤوس الخلائق يوم القيامة بتاج الوقار: قال ﷺ: «**ويوضع على رأسه تاج الوقار**

---

(1) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

(2) رواه الترمذي، وقال الألباني في صحيح الجامع: صحيح.

الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها»[1].

15- يزوج الشهيد باثنين وسبعين زوجة من الحور العين: قال ﷺ: «**ويزوج اثنتان وسبعين زوجة من الحور العين**»[2].

16- وتتعد كرامة الشهادة الشخص نفسه فيشفع في سبعين من أقاربه: كما قال ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال وذكر منها: ويشفع في سبعين من أقاربه**»[3].

أخي المسلم:

عن سهل بن حنيف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سأل الله – تعالى – الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» [رواه مسلم].

يعني أنَّه إذا سأل الشَّهادة بصدق أعطي من ثواب الشُّهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشَّهادة، واستحباب نيَّة الخير[4].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة**

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي (55/13).

صادقًا أعطيها ولو لم تصبه» [رواه مسلم].

أسأل الله – عز وجل – أن يجعلنا من الشهداء في سبيله مقبلين غير مدبرين وأن يرزقنا الصبر والثبات إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

الفهرس

المقـدمة 4
مدخل 6
وعيد من ترك الجهاد 54
ثمرات الشهادة في سبيل الله 55
الفهرس 66